رو الليل

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١١١ - برقيا داشروق
تلكس SHOROK 20175 LE
القاهرة ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٧٧٤٨١٤ - برقيا شروق
تلكس 93091 SHROK UN

من الشعر الإسلامي الحديث

راهب الليل

هـذه المجموعـة سجل للحظات العمر الدابر ، فيهـا شيء من شعـر الشباب وأمشـاج من شعر الكهـولة والشيخـوخـة . فاذا وجدت فيها شيئاً من التباين فمن هنا يأتي التباين .

مُقَدّمَة

أَطَلْتُ في ليلِها قيامي وعشتُ في ضَجَّةِ الصُّمُوتْ
وضَلَّ رَكْبُ الوَرَى أَمامي فلا ثَباتٌ ولا ثُبُوتْ
وكنتُ أخشى من الكلامِ فصرتُ أخشىٰ من السُّكُوتْ

ط. ا.

سبتمبر ١٩٨٠

راهِبُ اللَّيْل

عـاشِقُ الـرُّوحِ مستهـامْ   ضَـمَّـهُ الـليـلُ والأَلَـمْ
كُلَّمـا استقبـلَ السُّهَـامْ   غـالطَ الـدمـعَ وَابْتَسَـمْ

راهبُ الليلِ لا ينامْ والجَوى عنه لم ينمْ
عاشِقُ الروحِ مُستهامْ ضَمَّهُ الليلُ والألمْ
كُلّما استقبلَ السِّهامْ غالَطَ الدمعَ وَابْتَسَمْ

هكذا نحنُ في القِمَمْ
نَصْنعُ الخُلْدَ والقِيَمْ

إنما الحبُّ كبرياءْ تَصِلُ الأرضَ بالسَّماءْ

هاتِ ياليلُ ما تشاءْ

سَتَرانا مع الصباحْ عندما يُقْبِلُ الصباحْ

قد كَبِرْنَا على الجِراحْ
وَارْتَفَعْنا على الأَلَمْ

هَمَسَ الوردُ للرياحْ وهي تَذْرُوهُ للرَّغامْ
قال هل يُسْكِتُ النُّواحْ صيحةَ الحبِّ والسلامْ
أو تُرَى يَنْتَهِي الصباحْ أو تُرَى يَخْلُدُ الظلامْ

وأرَى الشمسَ مِنْ بَعِيدْ
تَنْشُرُ الصُّبْحَ مِنْ جديدْ

فَيُغَنِّي له الوُجُودْ فَرْحَةَ الحبِّ والخُلودْ

وهو يَحْنُو على الوُرُودْ

واذا ما أتى الصَّباحْ سيرانا مع الصَّباحْ

قد كَبِرْنَا على الجِراحْ
وَارْتَفَعْنا على الأَلَمْ

لا تَقُلْ طالَتِ الشُّجونْ نحنُ أَقْوَى مِنَ الشَّجَنْ
كلُّ ما كانَ أو يكونْ هَانَ إنْ نحنُ لم نَهُنْ
نحنُ لا نَرْهَبُ المَنُونْ نحن أَبْقَى مِنَ الزَّمَنْ

ولنا الحبُّ والحياهْ
رَغْمَ ما تصنعُ الحياهْ

وخُطانا على الرِّمالْ تُطْلِعُ الحبَّ والجمالْ

قَصَّرَ الليلُ أم أَطالْ

سيرانا مع الصباحْ عندما ما يُقْبِلُ الصباحْ

قد كَبِرْنا على الجراحْ
وَارْتَفَعْنا على الألَمْ

هي الأرضُ طَبْعٌ في بَنِيها ومَنْ تَكُنْ
جِبِلَّتُـهُ الأُولـى تـرابـاً تَـمَـرَّدا
وكم ضـاربٍ فيهـا بعكّـازِ تـائـهٍ
يُعَدُّ مِنَ المْوتى وَإنْ راحَ أو غَـدا

ميلادُ شَاعر

مهداة إلى الملاح التائه شاعرنا الباقي علي محمود طه

١

إلى مِثْلِهِ تَصْبُو عذارى الخواطرِ
وفي يومه تَصْحُو سكارَى المزاهرِ
وفي كل هَمْسٍ حولَ بعناهُ ضَجَّةٌ
وفي كلّ معنًى منه صرخةُ ثائرِ
أَلَمَّ على الأيامِ يَسْقِي جَدِيبَها
وَيَبْني جديداً فَوْقَ أطلالِ دَاثِرِ
هو الشعرُ ما غَنَّى ربيعٌ، وما بَكَى
خريفٌ، وما اخْضَلَّتْ عيونُ الأزاهرِ
تَراتِيلُ أنسامٍ، وتَسْبِيحُ جَدْولٍ
وَأَنَّةُ موجوعٍ، ومصباحُ حائرِ

أراق على وَجْهِ الصباحِ ضيــاءَهُ
وعــاقَرَهُ في الليـلِ صَمْتُ الدَّيـاجرِ
وَوَدَّتْ بنـاتُ الزَّهـرِ لو أَنَّ عَـرْفَهـا
مِنَ النَّغمِ القُـدْسِيِّ سَبْحَةُ خـاطـرِ
وإنَّ جـمــالاً لم تُـسَـجِّـلْهُ رِيشَــةٌ
مِنَ الفَنِّ نَهْبٌ لِلسَّــوافي الثَّـوائــرِ
وإنّ حـيــاةً لا تُحِسُ جـمــالَـهــا
لَتَكْليفُ مَصْفُـودٍ، وصَفْقَـةُ خـاسـرِ
تَغَنَّتْ بـه الآبـادُ من قَبْـلِ عَـزْفِـهِ
كـلامـاً فجـابَ الـدهـرَ أوَّلَ عـابـرِ
وأَرْهَصَ لــلأوتـارِ حتى إذا شَــدا
تَجاوَبَ فَرْحُ الكونِ في بَرْحٍ ساهرِ
ودَقَّتْ نــواقيسُ الـحيــاةِ وأطـلقتْ
رَهْـابِينُها في الجَـوِّ رُوحَ المَبـاخـرِ
ونـادَى مُنادٍ في السمٰواتِ أَوْقِـدُوا
كـواكبَهـا فــاليـومَ ميــلادُ شـاعــرِ

٢

فَضَــجَّ بأَعْـراسِ السمٰواتِ عيـدُهـا
وقَـرَّ على شطِّ الحياةِ شـريـدُهـا

تَـجَـرَّدَتِ الأَنْغـامُ فـهي عــوالـمٌ
يُتَـرْجِمُ أسـرارَ الـوجـودِ وجــودُهـا
وأَقْبَـلَ ربُّ الشعـرِ في أيِّ موكبٍ
تَحُفُّ بـه حُـورُ السمـاءِ وغِيـدُهــا
وطـافَ بـه جبـريـلُ قبـل نُـزُولِـهِ
إلى العالم المَحْدُودِ والأرضُ بِيدُها
فلمَّا دَنَا مِنْ جـوهرِ الشِّعْـرِ زَلْزَلَتْ
بـه السَاحـةُ الكبرى ومـاجَ أَبِيدُهـا
وَقِيـلَ له يـا شـاعـرَ الكـونِ هـذه
هي الجَـذْوَةُ الأُولى وأنت وَقِيدُهـا
وَغَــوَّثَ بـالنـارِ القـديمـةِ كـاهنٌ
وَمَسَّ بهـا الـدنيـا فَضَـاءَ عَمُـودُهـا
وَدَبَّ بهـا معنًى جـديـدٌ وأَمْـرَعَتْ
بـطائحُها الجـدباءُ واخضـرَّ عودُهـا
وأَطْلَعَ ساقي الشعرِ في البيدِ كَرْمَةً
مُنَغَّمَـةً يَحْـدُو الـزمـانَ نشيـدُهـا
ونــادَى نبيٌّ قـومَـهُ: تلك واحـةٌ
على الأُفْقِ عَـذْرَاءُ الجِنانِ وَلُـودُهـا
فمــا آمَنَتْ بـالشعــرِ إلاَّ لُحُـونُـهُ
وَرَانَ على الأرضِ العجوزِ جمودُها

وقُـدِّرَ للدنيا الشقـاءُ فـأَلْحَـدَتْ
وَجَـدَّفَ غَـاوِيهـا وضَـلَّ رشيـدُهـا
وأَشْـرَعَتِ الأطمـاعُ فيهـا ضَغَـائِنـا
يُجادِلُ في مَعْنى السلامِ حديدُهـا
ومـا كَـدَّرَ الأيـامَ إلَّا ظِمَـاؤُهَـا
وهـل شَابَ مـاءَ العينِ إلَّا وُرُودُها
فـلا طـابَ نفسـاً بـالحيـاةِ شقيُّهـا
ولا قَـرَّ عينـاً بـالحياةِ سعيـدُهـا

٣

أَتَنْشُدُ في دنيا الحيارى مَنِ اهتدى.؟
أفي الحانةِ الحمراءِ ترتادُ معبدا.؟
هَـرَقْتَ إذنْ يا سـادِنَ الشعرِ لَحْنَـهُ
وأَهْـدَرْتَ لِلْغَافِينَ نـايـاً مُسَهَّـدا..
هي الأرضُ طبعٌ في بَنِيها، ومَنْ تَكُنْ
جِـبِـلَّتُـهُ الأُولـى تـرابـاً تـمـرَّدا
وكم ضـاربٍ فيهـا بِعُكَّـازِ تـائـهٍ
يُعَدُّ مِنَ الموتىٰ وإنْ راحَ أو غَـدا
وكـانت حياةُ النـاسِ لولا زحـامُهم
عليهـا طـريقـاً للسـلامِ مُعَبَّـدا

فلا تَكُ نجماً جاوزَ الليلَ وحدَهُ
ببَيْداءَ فانْثالَتْ أَشِعَّتُهُ سُدى
لِمَنْ شارِقٌ في الأُفْقِ إن كنتَ لا ترى
وفِيمَ هُتافُ الوُرْقِ إن كنتَ جَلْمدا

* * *

هُنَالِكَ والدنيا روايةُ ظالمٍ
وقِصَّةُ مظلومٍ وتَلْفِيقُ مُنْتَدَى
وفي ليلةٍ ظلماءَ يَنْسَلُّ بَرْقُها
كما جَرَّدَتْ كَفُّ الكَمِيِّ المُهَنَّدا
وفوقَ رَباةٍ يكمنُ الدهرُ عندها
وتُبصر فيها - قَبْلَ مَوْلِدِهِ - غَدا
دعا ربَّهُ الشادي وأَوْفَى بشعرِهِ
إلى العالم الثاني ومَدَّ له يدا
وكَفٌّ عن الأوتارِ فهي نواشزٌ
كأعصابِ محمومٍ أَلَحَّ به الصَّدَى
وقال بنو الموتى لقد مات شاعرٌ
وكيف يذوقُ الموتَ مَنْ كان مُخْلَدا
بِقَدْرِ شعورِ المرءِ يمتدُّ عمرُهُ
وفي حَمْأَةِ الأيامِ يَرْدَى بنو الرَّدَى

وما مـات شـادٍ بـالجمــالِ وإنمـا
إلى عـالَمِ الألحانِ عـاد كما بَـدا
ومَنْ فهـمَ الأيـامَ لحنــاً مُجَــدَّداً
تـراءتْ لـه الأيــامُ لحناً مُجَــدَّدا

ربما اسْتَغْنَتِ الحياةُ عن العلمِ على رغم ما أَتَى العلماءُ
وعلى الفنّ وحدَهُ عاش أجـدادُكَ دهراً وهم بـه سعداءُ
إنَّ مَنْ أطلقُوا العقولَ علينا لستَ تدري أأحسنوا أم أساءوا

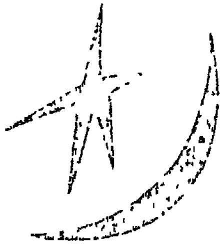
في حانة سيد درويش

ألقيت في الاحتفال بذكراه الخامسة والعشرين

دَارَتِ الكاسُ والتقى الندماءُ
وأعادَتْ أيامَها الصهباءُ
وصفَا مجلسُ الشراب وطابَتْ وصحا في عبيرِها الإغراءُ
وَبَدَتْ حولَها المزاهرُ تَشْدو. وَدَعا الشَّرْبَ سامرٌ وغناءُ
واسْتَوى الضَّارِبُونَ فيها أفانينَ وَبَاتَتْ على الغديرِ الظِّماءُ
الليالي والصَّفْوَةُ النُّدَماءُ
وسُقَاةُ المَلاَحِنِ القدماءُ
باكَرَتْهم في موسمِ الفن فانْثَالُوا كما يجمعُ الفراشَ الضياءُ
أم يا نديماي: هذه حانُ باخوسَ وهذي أنغامُهُ العذراءُ
نبضاتُ الأوتارِ فيها تراتيلُ وَهَمْسُ الأعوادِ فيها دُعاءُ

عَصَرَ الفنُّ كَرْمَها مِنْ معانيه ودارَتْ بها النُّغُومُ الوِضَاءُ
وإذا القومُ بعد (خمسٍ وعشرين) نَشَاوى كعهدِهِمْ أَنْضَاءُ
رَقَصَتْ في أعصابِهِمْ سَوْرَةُ الفَنِّ وللفنِّ سَوْرَةٌ وانتشاءُ
نَغَمٌ عاجبٌ، ولحنٌ رُواءُ
وهوًى ساكبٌ، وطبعٌ رُخَاءُ
وتَصاوِيرُ للوجود كما لو شَفَّهُ الرسْمُ أو نَحاهُ الطِّلاءُ
وتَعَابِيرُ عن معانٍ دِقاقٍ لم يُحَوِّمْ في جَوِّها الشعراءُ
أَنكرتْ عالمَ الفناءِ وضجَّتْ في صَداها الحياةُ والأحياءُ
صانعُ الخُلْدِ لا يموتُ وإن مَدَّتْ عليه سُجُوفَها الغبراءُ
عَلَّمَتْهُ الانسامُ كيف البكاءُ
وهَدِيرُ الأمواجِ كيف الإباءُ
وعَويلُ الرياحِ كيف التَّشكِّي، وعبيرُ الوُرُودِ كيف الغِناءُ
رُبَّ لحنٍ كأنه موكبُ الرَّعْدِ عَتِياً كأنه الكبرياءُ
ولُحُونٍ كأنها رقصةُ النارِ تُغَنِّيها الزَّعْزَعُ النكباءُ
ولحونٍ كأنها لحظةُ الوصلِ زَهَتْها مُلاوَةٌ ولقاءُ
ولحونٍ تُصَوِّرَ النفسَ ألواناً ففيها الطُّيُوفُ والأَصْداءُ
نغماتٌ تَرَدَّدَ البِدْعُ فيها وسَقَتْها البديهةُ الوَطْفاءُ
غالَ خَلاَّقَها الرَّدَى فَتَبَنَّاها خلودٌ وذادَ عنها وفاءُ
يخفضُ الدهرُ عندها مِنْ جناحيهِ ويَرْدَى الرَّدَى ويَفْنَى الفناءُ
هي كالخمر كلما شَيَّخَ الدهرُ تَناهَى بها الصِّبا والفَتاءُ

ينبضُ الحبُّ في سَناها وتدعوكَ إلى اللهِ روحُها الحسناءُ
ومن الفنّ ما يُعَلِّمكَ الحقَّ اذا مَوَّهَ الوجودَ الرياءُ
ومن الفنّ ما يُبَشِّرُ بالرحمةِ دنيا طَغَى عليها الشقاءُ
ليس في جوهر الحقيقةِ غيرُ الفنّ شيئاً. وغيرُهُ أَسْماءُ
والذي أَبْدَعَ العوالمَ فَنّانٌ تَظَنّى في فَهْمِهِ الفُهَماءُ
والليالي قصائدٌ عصماءُ
وأولو الفنِّ وحدهم أنبياءُ
ربما اسْتَغْنَتِ الحياةُ عن العلم على رغم ما أتى العلماءُ
وعلى الفنّ وحده عاش أجدادُك دهراً وهم به سعداءُ
إن مَنْ أَطْلَقُوا العقولَ علينا لستَ تدري أألحسنوا أم أساءوا
والذي ظنّها تراباً وماءً هو في نفسه ترابٌ وماءُ
شَدَّ ما تجنحُ الحياةُ إلى الروح وإن كان في الطريقِ التواءُ



ولــكــنَّ الــظلامَ إذا تــمــادَى
فَــلَيْسَ مِنَ انــتــظارِ الفَــجْــرِ بُــدُّ
وقــد يــأتي الصبــاحُ على هــوانــا
وقــد تَجْــرِي الــريــاحُ كمــا نَــوَدُّ

في انتظار الفجر

بِقلبي ما بقلبِك أو أَشَدُّ
وعندى مِنْ جَواكَ جوًى وسُهْدُ
ولكني أُكابر فيكَ ضَعْفي
ودمعي مِثلُ دمعِكَ مُسْتَبِدُّ
تُراوِدُني دواعيهِ فأُغْضي
وبي مِنْ كبرياءِ الدمعِ جَهْدُ
إذا سَكَنَتْ إليه العينُ يوماً
تمرَّدَ في دمي لهبٌ وَوَقْدُ
فَيَرْمِيني على العبراتِ وَجْدُ
وَيَثْنِينى عن العبراتِ وَجْدُ

ولـو أني بكيتُ لَخفّ مـا بي
ولـكنَّ الـبُكـا لِـلْحُـرِّ قَـيْـدُ

* * *

هي الـدنيا فـلا تَعْتِبْ وَخُـذْهـا
عـلى عِـلَّاتـهـا لا شـيءَ بَـعْـدُ
ولـلأيـامِ أعـمـارٌ قِـصـارٌ
وأقـدارٌ تـروحُ بـنـا وتـغـدو
قـوافـلُ في ضميـر الغَيْب تَمْضي
وصَـرْفُ الـدهـرِ يهـزلُ أو يَجِـدُّ
ونـائحـةٌ على الأغـصـانِ تبكي
كهـاتفـةٍ على الأغصـان تَشْـدُو
فـلا تعتبْ على الـدنيـا ودَعْهـا
لمن يـبكـي عليهـا وهي تَـعْـدو

* * *

تعـالَ إلى خميـلِ الحبّ نَشْـدُو
كسـالفِ عهـدِنـا والعيشُ رَغْـدُ
تـعـالَ فـنحن فـي دنيـا هـوانـا
نـعيشُ وبـيـنـنـا سـبـبٌ وعَـهْـدُ
تـعـالَ فليس بـعـد الحبّ شيءٌ
ولـيس لـعـالَـمِ الأشـواقِ حَـدُّ

يَدُ الأيام أَقْصَرُ مِنْ هوانا
فكيف تنالُ منه وهو خُلْدُ
ولكنَّ الظلام إذا تمادَى
فليس من انتظارِ الفجرِ بُدُّ
وقد يأتي الصباحُ على هوانا
وقد تَجْرِي الرياحُ كما نَوَدُّ

أَيُّهذا النديمُ ويحكَ أوَفَـيْتَ فَمِلْ بي على مُوَيْسٍ وَهاتِ
أنا في شَطِّهِ أراقبُ فِعْـلَ الدهـرِ في أهله وأرقبُ ذاتي
أنا في شطِّهِ أُراجـعُ في سِفْرِ وجـودي أيَّاميَ الخـالياتِ

رجعة الى مويس

ومويس نهير يمر بالزقازيق كانت لنا على شطآنه ذكريات
أيام كنا فتية نتعاطى المعرفة في معهد الزقازيق

وصلَ الرَّكبُ يا نديمُ فهاتِ
هذه رَمْلَتي وتلك رَباتي
الرّياض اللفَّاءُ. والرَّفْرَفُ الخُضْرُ. ومَغْنَى الصِّبا. ومَلْهَى اللُّداتِ
ومَغَاني عَمَّاتِكَ النَّخْلِ فَرْعاءَ صموتاً كعهدِها قائماتِ
ومُوَيْسُ السكرانُ راويةُ الحبّ وساقي لُحُونِهِ الثّملاتِ
معبدُ الراهبِ الخليعِ بساطٌ للندامى وموعدٌ للغُواةِ
العجوزِ الزنديقِ خمارةِ الشعرِ وعُزَّى ندمانِها واللاّتِ
خَطَرَ الفنُّ حوله فَجَثا يَستَغْفِرُ الحُسْنَ والعُيونَ اللّواتي
وعلى صَدْرِهِ بُغَامُ حنينٍ. وعلى شَطّهِ عُرامُ سُقَاةِ
أنا أيضاً من السُّقاةِ ولي في ذلك الشّط قِصّتي وَرُواتي

فوق هذا الثرى سَكَبْتُ مِنَ العُمْرِ سِنِيناً عَصَـرْتُها مِنْ حياتي
وعلى هـذه الـرِّمـالِ تنـاولتُ كتـابَ المـأسـاةِ والمسـلاةِ
والزمانُ المَطْمُورُ تحتَ رُباها بعضُ ذاتي وفيه بعضُ صفاتي
فاعْذِرُوني إذا لَوَيْتُ عن الرَّكْبِ فإني أَسِيرُفي ذكـرياتي

* * *

يـا سَقَى الله بالـزقازيق أيـامَ صبايَ النـواضرَ العـطراتِ
وسنينـاً كأنهـا طَـرْفـةُ العينِ خِفـافـاً مَـرَرْنَ كـاللَّحـظاتِ
يَسْتَرِقـنَ الخُطىٰ إلى شاطىء النسيانِ في موكبٍ رهيبِ الصُّماتِ
مَنْ تُرَى أَيْقَظَ الخواطرَ حولي وأثارَ المَطْوِيَّ مِنْ صفحاتي
وأعـادَ الأيامَ والمعهـدُ السامقُ مسـروجٌ بالنجـومِ الهُداةِ
الفُحولِ الأعلامِ أَمْثِلَةِ الـزُّهدِ وشِيخَـانِهِ العُـدُولِ الثِّقاتِ
ورفيقٍ كـأنه هـامشُ الشَّرْحِ إذا صَـاتَ يمضغُ القـافاتِ
حَنْبَلِيٌّ كـأنـه الجمــلُ الأَوْرَقُ صَخَّـابَـةٌ كثيرُ اللُّتَــاتِ
السـراجُ العليل يَشْهَقُ في محـرابِهِ والبِلىٰ يَـرُوحُ وَيـاتي
ونَضِيـجٍ مُفَلْفَلٍ لاذِعِ الـطُّعْمَةِ يَشْـوِي أصابعي ولَهَـاتي
هـو زادُ المسافـرين بلا زادٍ وقُـوتُ المحتاجِ لـلأقـواتِ
يَتَصَبَّى المجـاورين فَنَنْصَبُّ عليـه كـالفـاتحين الغُــزاةِ
أَتُرْكِ المَتْنَ. وَاطْوِ حاشيةَ السَّعْدِ. وأَدْرِكْ شَيْخُونَ قَبْلَ الفَواتِ
أنا مِنْ مازنٍ ومازِنُ مِنِّي والليالي القَمْراءُ مِنْ سَدَحاتي

* * *

أَيُّهذا النديمُ وَيْحَكَ أَوْفَيْتَ فَمِلْ بي على مُوَيْسٍ وهاتِ
أنا في شطِّهِ أراقبُ فِعْلَ الدهرِ في أهلِهِ وأرقبُ ذاتي
أنا في شطّه أُراجعُ في سِفْرِ وُجودي أيامِيَ الخالياتِ
أُوقِظُ الماضيَ البعيدَ وأخشى أَنْ تَغِيمَ الأشباحُ في خلجاتي
وأنا الشاعر الذي زَمْزَمَ الكاسَ فَرَنَّتْ بهذه المُرْقِصاتِ
ليتَ مَنْ عَقَّني وَأَلْحَدَ بالشعرِ يَرُدُّ الأَخِيذَ مِنْ خطراتي

في زَوْرقِ الأحلامِ رُوَّادُ
وصلوا ضِفـافَ الغيبِ أوكادُوا
والشوقُ بين رحالهم زادُ . .

لحنٌ قَديم

دُورُوا بها في يومِها دُورُوا   كادتْ تطيرُ بِأَهْلِها الدُّورُ
دُورُوا بها
في زَوْرقِ الأحلامِ رُوَّادُ   وصلوُا ضِفَافَ الغَيْب أوكادُوا
أحلامُهمْ أفراحْ   وحَنِينُهُمْ مَلاَّحْ
والشَّوْقُ بين رِحَالِهِمْ زادُ   ولهم بأرضِ الحبِّ ميعادُ
والحبُّ أغوارٌ وأَبْعادُ   فيها الهوى والظلُّ والنُّورُ
دُورُوا بها في يومِها دُورُوا
راحتْ بما نخشاهُ أيامُ   وأتتْ بما نهواهُ أيامُ
يا فرحةَ الأفراحْ   يا جنة الأرواحْ
أيامُنا والعيشُ أحلامُ   وحياتُنا شعرٌ وأنغامُ
وعلى طريقِ الشوقِ أعلامُ   فَرْحَى يُرَفْرِفُ حولَها النُّورُ

وتَزُفُّها الوِلْدَانُ والحُورُ
دُورُوا بها في يومِها دُورُوا

مودُ في أَوابِدِهِ الشَّماءِ بُعْدٌ. وفي شَذَاها اقترابُ
حَلْبَةِ المُحَلِّقُ كالنَّسْرِ بعيداً. في شَـدْوِهِ إِغْرابُ
، تَشِفُّ عن المعنى كحسناءَ يَـزْدَهِيها نِقـابُ

محمود حسن اسماعيل
في ذكراه الرابعة

غابَ عن روضِهِ. وطالَ الغِيابُ
نازحَ الروضِ: ما كفاكَ اغترابُ.؟
جَفَّتِ الكاسُ يا جديدَ المعاني، وشكا النايُ شَجْوَهُ. والرَّبابُ
وذَرَتْ نُضْرَهُ النَّدِيُّ كما يَذْوِي شعاعٌ إذا تَهاوَى الشِّهابُ
شَأْنُ مَنْ عاقَرُوا أغارِيدَ محمودَ فغابُوا وهم حُضُورٌ وذابُوا
وتَساقَوْا على هـواهُ أهازِيـجَ تَغَنَّى بها الهـوَى والشبابُ
ذاكَ محمودُ في أوَابِدِهِ الشَّماءِ بُعْدٌ. وفي شَذَاها اقْتِرابُ
شاعرُ الحَلْبةِ المُحَلِّقُ كالنَّسْـرِ بعيداً. في شَـدْوِهِ إغْرابُ
فنسيمٌ مُعـطَّر. وهجيـرٌ. وظـلالٌ. وَهَـدْأَةٌ. واضـطرابُ
وضَبَـابِيَّـةٌ تَشِفُّ عن المعنى كحسنـاءَ يَـزْدَهِيها نِقـابُ
وأفـانينُ مِنْ رُؤىً لا تراهـا العينُ لكن تَرُودُهـا الألبابُ

صُوَرٌ جَادَها هوىً غَلاَّبُ
وخيالٌ مُجَنَّحٌ وَثَّابُ
وحنينٌ لعالمٍ ليس يَبْدُو . فيه شَجْوٌ. وفيه جَوٌّ عُجابُ
رِيشَةٌ مِنْ جناحِ جبريلَ في كَفِّ هَتُوفٍ لُحونُهُ محرابُ
يَسْجُدُ الفنُّ في ثَراها. وتَنْدَى خطراتُ الهوى. وتَعْنُو الرِّقابُ
ذاكَ محمودُ. ما لمحمودَ أنداءُ. ولكنما له أحبابُ
جَمَعَتْهُمْ في حانةِ الشعرِ أقداحٌ وراحٌ رَاوُوقُها مِطْرابُ
* * *
لستُ أنسى أيامَنا منذُ كُنَّا. حيث كان الصِّبا وكان الشبابُ
والليالي كما عهدنا وِضاءٌ. والأماني كما رَجَوْنا عِذابُ
وَدِنانُ الزمانِ تَفْهَقُ بالشعرِ وتدعو لكأسِهِ مَنْ أنابُوا
وتراتيلُ شاعرِ الكوخ في الحانةِ شوقٌ لشوقِهِ وَلُهابُ
فَانْتَشَى الشَّرْبُ .والنَّدامى .وطابتْ لحظاتُ اللِّقا .وطابَ الشرابُ
* * *
أين تلك الأيامُ يا ساقيَ الشعرِ. وأين الرَّاوُوقُ والأكوابُ
أين أيامُنا. وأين ليالينا. وأين الرِّفاقُ والأصحابُ
سبقُونا لعالمٍ ليس فيه نَزَواتٌ وليس فيه احْتِرابُ
إيهِ محمودُ. ما قَضَيْتَ وما زال شَجِياً هُتافُكَ الخَلاَّبُ
أنتَ في عالم البقاء مقيمٌ. ليس في تُرْبِها عليكَ حِجابُ
أنت روحٌ مُجَنَّحٌ. رائعُ الشَّدْوِ. مُحالٌ أن يحتويكَ التُّرابُ

ولقد ساءلتُ نفسي كلَّ صبحٍ ومساءْ
عالَمٌ تصطدمُ الوحشةُ فيه بالفَناءْ
أُفْرِغَ العقلُ عليه فهو فَنٌّ وَرُواءْ
إنْ يَكُنْ تَقْوِيضُهُ حَتْماً فَلِم كانَ البِناءْ
ولماذا بَعْدَ عُمْر الأرضِ في هذا العَناءْ

خُماسِيَّات

وَرَاءَ خُطىٰ الليل..

هَـدَأَ الـكـونُ وأَضْـفـى الـلـيـلُ ثـوبَ الـظلمـاتِ
سـاكـنـاً إلا بـصـيـصـاً مـن نـجـومٍ خـافـقـاتِ
تـرسـلُ الـضـوءَ كـجـوَّابٍ ضـعـيـفِ الـخـطواتِ
يَـعْبُـرُ الـدهـرَ إلى المجهـولِ مِنْ تِيـهِ الـحيـاةِ
كـالصَّدَى الغـامضِ. أو كـالـطَّيفِ، أو كـالْهَمَسَـاتِ
هَـدَأَ الـكـونُ فـمـا لِـلْكَـوْنِ دُونَ الـنَّبض حِسُّ
وَغَـطِيطُ الـنهـرِ حُـلْمٌ. وحـديـثُ الـريـحِ هَـمْسُ
والأَواذِيُّ عـلى الـشـاطـىءِ تَـرْبِـيـتٌ وَلَـمْسُ
هُـدْنـةٌ لـلكـونِ من حـربٍ عـلى الأكـوانِ تَـقْسُـو
ركـبـتْ زورقَ ظـلمـاءَ عـلى الـفـجـرِ سَـيَـرْسُـو

* * *

هدأَ الكونُ فما لي قد طغَى تَيَّارُ فِكْري
يَعْصِفُ الشكُّ به حتى على الشَّكِّ ويُغْرِي
لا تَلُمْ حَرَّانَ دَاوَى لذعةَ الجمرِ بِجَمْرِ
لَوَّحَ الوَهْمُ له فانْسابَ فوق الشَّوْكِ يَجْرِي
أضلالٌ أم هُدىً ما نحن فيه ليت شعري
آهِ لو يكشفُ عن مَخْبئِهِ سِرُّ الحياهْ
إنني ظمآنُ.. ظمآنُ على وِرْدِ المياهْ
إنني حيرانُ.. حيرانُ تَرَدَّى في أساهْ
ليس يَشْفِيني سُكوتي . لا... ولا تُجْدِي الشَّكاهْ
وطريقُ الشكِّ دُوني لستُ أدري مُنْتَهاهْ

* * *

تائِهٌ طالَ سُراهُ في مَجاهِيلِ العُصُرْ
جامِدُ الوجْهِ، خفيفُ الخَطْوِ، يجتازُ القَدَرْ
كُلَّما شَاخَ وأَوْهَى شَرْخَه شَيْبُ السَّحَرْ
ذابَ في الفجرِ. وأَلْقَى السيفَ في صمتٍ وَفَرّْ
أين يا ليلُ بنا تمضي لقد طالَ السَّفَرْ
ما لهذا الليل لا ينفكُّ عن هذا الرحيلْ
دائباً ينتهبُ الأجيالَ جيلاً بعد جيلْ
يُفْسِحُ الدنيا لكونٍ مقبلٍ جَمّ الفُضُولْ
ثم يَطْوِيهِ لكونٍ آخرٍ عَمَّا قليلْ

قِصَّةُ الدنيا المنايا، ولياليها الفُصُولْ

* * *

قصةٌ طالتْ وَلَمَّا يُسْدِلِ الدهرُ السِّتارْ
لَخَّصَتْ دنياكَ في كَرِّ الليالي والنهارْ
ورَحاها أين دارتْ شَمَّرَ الموتُ ودارْ
قِفْ على الشاطئِ وانظرْ كيف يَنْثالُ الدَّمارْ
لَكَأنَّ الليلَ جيشٌ والدياجيرُ الغُبارْ
أتَرى البدرَ ضليلاً.؟ هل رأيت الشُّهب حَيْرى؟
تَذْرَعُ الأفقَ ثقيلاتِ الخُطى شِبْراً فشبرا
سائماتٍ في الفيافي تأكلُ الآجالَ جَهْرا
فاذا صاحَ بها الديكُ مضتْ تأكلُ سِرّا
ليست الأعمارُ إلا ليلةً تمضي وأخرى

* * *

ليلةٌ تلك التي أَطْلَعَها الغَيْبُ وراحَتْ
ونعاها الديكُ واستبكى النَّدَى حتى توارتْ
أين راحت هذه الليلةُ؟ بل من أين جاءتْ
ما الذي ينقصُ عُمْرَ الكونِ وَلَّتْ أو أقامتْ
إنها الأيامُ دارَتْ. إنها الساعةُ حَانَتْ
إيهِ يا دنيا رويداً.. لا. بل امْضِي ساخِرَهْ
إنما نحن نيامٌ في سفينٍ ماخِرَهْ

تُـرِكَـتْ دَفَّـتُـهـا نَـهْـبَ الـسَّـوافـي الـثـائـرهْ
فـمضتْ بين صخـورِ الـغـيـبِ تـجـري عـابـرَهْ
أَتُـرى «جُـودِيُّـهـا» غَـيْـرُ صـخـورِ الآخـرهْ

* * *

هـل رأيتَ الـرَّاكض المجنـونَ يَـعْـدو خَـلْفَ ظِـلِّهْ
جـاهـداً يـسـبـقُـهُ الـظِّلّ ويُـغْـرِيـهِ بِـنَـوْلِـهْ
هـو مـنـه خـطوةٌ لـكـنـهـا كـالـكـونِ كُـلِّهْ
هـكـذا الإنسـانُ في الـدنيـا ضَلِيـلاً خَلْفَ عَـقْـلِهْ
كـلـمـا ازدادَ عـلـومـاً زادَ إيـقـانـاً بـجـهـلِهْ
إنـمـا الـدنـيـا كـتـابٌ وبـنـو الـدنـيـا سـطورْ
دَفَّـتـاهُ سـاعـةُ الـمـيـلادِ والـيـومُ الأخـيـرْ
تـقـرأُ الأيـامُ فـيـه قـصَّـةَ الـكـونِ الـكـبـيـرْ
كـلَّمـا مَـرَّتْ على سـطرٍ وَعَـتْـهُ فـي الـضـمـيـرْ
ومَـضَـتْ تـمـحـوهُ لا يُـمْـهِـلـهـا وَخْـدُ الـدهـورْ

* * *

سُـبْـحَـةٌ في كفّ شيـخٍ راهبٍ بـالـمـوت يُـغْـرِي
كـلّمـا سبَّـح مَـرَّتْ حَـبَّـةٌ في الـغـيـبِ تَـجْـرِي
مـا الـذي أبـقـاهُ مِنْ حَـبّـاتـهـا. لـيـتـك تَـدْري
أيـهـا الشيـخُ رويـداً إنـني في الـمـوتِ غـيـري
هـذه الـحبّـاتُ في كـفِّ الـرَّدَى سـاعـاتُ عُـمْـرِي

كانت الدنيا قِفاراً والليالي مُصْحِراتُ
تَنْعَبُ الوحشةُ فيها وتغولُ الظلماتُ
والأساطيرُ بها مِنْ قوةِ الجهلِ حياةُ
حَلُمَتْ حتى أفاقتْ ونأى عنها السُّباتُ
فاذا الموجُ فَحِيحٌ. والسَّوافي صَرَخاتُ

* * *

مَنْ تُرى أَنْشَأَ ذاك الروضَ مِنْ تلك القِفارْ
سلَّطَ العلمَ على الجوِّ وأَزْرَى بالبِحارْ
ومضى في الأرض يَسْتَعْدِي على الأرضِ البُخارْ
قد طواها فهو ريحٌ واحْتَواها فهو نارْ
سَعَرٌ في قُوَّةِ الإنسانِ يَشْفِيهِ السُّعارْ
تخِذَ السِّلْكَ رسولاً وامتطى البرقَ وَهَمَّا
يَنْخُلُ العالَمَ في تفكيرِهِ والبحثِ عَمَّا
كلَّ يومٍ بجديدٍ مُعجزٍ يُضْنِيكَ فَهْما
قد أتى بالسِّحْرِ والبحثُ فَطِيرٌ لم يَتِمَّا
إنني أسألُ ماذا يصبحُ العالمُ لَمَّا

* * *

عندما يأخذُ كلَّ الكونِ تفكيرُ البشَرْ
لم يَدَعْ في الأرضِ شِبْراً لم تُقَلِّبْهُ الفِكَرْ
هَبْهُ طالَ النَّجم في العلياءِ أو جازَ القَمَرْ

وتَحدَّى قوةَ الدنيا وأَزْرَى بالْغِيَرْ
ثمرٌ طابَ فماذا بعد أن طابَ الثمرْ
ولقد ساءلتُ نفسي كلَّ صبحٍ ومساءْ
عَالَمٌ تصطدمُ الوحشةُ فيه بالفَناءْ
أُفْرِغَ العقلُ عليه فهو فَنٌّ وَرُواءْ
إنْ يَكُنْ تقويضُهُ حتماً فَلِمْ كانَ البِناءْ
ولماذا بعد عُمْرِ الأرض في هذا العَناءْ

* * *

ضِلَّةٌ للعقلِ مخدوراً غريقاً في الخُمارِ
وَجَدَ العالَمَ أشواكاً وناراً خَلْفَ نارِ
فمشى فوق اللَّهيبِ الجاحمِ المسعورِ عاري
هائماً يَغْمُرُ في الدنيا بأسبابِ الدَّمارِ
ربما كان خرابُ الكونِ في هذا العَمارِ
أصحيحٌ أن قوماً أدركوا سِرَّ الحياةِ
وَبحقٍ أدركوه أم أتوا بالنُّزهاتِ
أَفْتَوُا العُمْرَ جدالاً في أمورٍ باطلاتِ
سَكَبُوا في هامش الكونِ دماءَ الشبهاتِ
ثم راحُوا وكتابُ الكونِ بِكْرُ الصَّفحاتِ

هِيهِ يا أوَّلَ الطريقِ من العام يميناً فنهتدي أم شمـالاً
أيّ شيءٍ صورتَهُ حين صوَّرْتَ من النُّورِ جـابةً وسؤالاً

هلالُ المُحَرَّم

عادَ بعد النَّوى وأَلْقى الرِّحالا
صامتٌ قام يخطبُ الأجيالا
وشهيدٌ على الزمان قديمٌ. كالزمانِ القديمِ يأبى الزَّوالا
وكـأَنَّ الظلامَ حـول مَرائيـهِ غُبـارُ الـدهـورِ مَـرَّتْ ثِقـالا
والزمانُ العجـوزُ داهيةٌ يـرتجلُ المـوتَ والحياةَ ارتجـالا
والـزمانُ العَنِيـدُ أحمقُ يـرتـادُ المنـايـا ويـركبُ الأهـوالا
والزمان العجيبُ أُسـطورةٌ يَنْسِجُها الـوَهْمُ للوجودِ خيـالا
صامتٌ قام يخطبُ الأجيالا
وَدَّ لو ترجمَ الضياءَ مقالا
وبـواكيـرُ مِنْ سنـاءٍ تَهـادَى، كتبـاشيـرَ مِنْ رجـاءٍ تَـلالا
خطَّهُ الغيبُ في السمٰوات سطراً. وَهِمَ الناسُ إِذْ دعوهُ هلالا

هو هَمْسٌ في خاطرِ الكون مشبوبٌ يَقُصُّ التاريخَ والأبطالا
هو فَنٌّ على السماءِ. ومعنىً كالمعاني. وهجرةٌ تتوالى
هو شيءٌ غيرُ الأهاليلِ يُوفي كلَّ عامٍ فَيُوقظُ الآمالا
خِنْجَرٌ في يَدِ المحرَّمِ مَسْلُولٌ على عالَمٍ يَضِجُّ خَبالا
قد لَواهُ الطّعانُ في لَجَبِ الدهرِ وعُنْفُ الطعانِ يَلْوِي النِّصالا

* * *

هِيهِ يا أوّلَ الطريقِ من العامِ يميناً فنهتدي أم شمالا
أيّ شيءٍ صوَّرتَهُ حين صوَّرْتَ من النُّور جابةً وسؤالا
أتُرانا على الطريق أم انْبَتَّتْ بنا السُّبْلُ وانتحرنا جدالا
وخرجْنا إلى الحياةِ مَثَاكيلَ نُجيدُ النُّواحَ والإعْوالا
وقَنِعْنا من المعاركِ بالوصف وخُضْنا غِمارها أقوالا
ونَصَبْنا لكلِّ ساعٍ شراكا. وملأنا طريقَهُ أوحالا
واحتمينا من الحقائق بالجهل وسرنا وراءه أشكالا
الذي صار عند قوم حراماً كان في يومه القريب حلالا
ضِلَّةٌ لِلَّجْاجِ يَخْتُلُ قومي ويُريهم أقوالَهم أعمالا

* * *

يا هلالاً في مطلع العامِ أُلْهُوباً يسوقُ الأيامَ وهي كُسالى
هاتِ من ذكرياتِ يومك يوماً يَقْرَعُ الغافلينَ والجُهّالا
وأَعِدْ قصَّةَ الخلودِ على العالم واضربْ فُصُولَها أمثالا
هي ميراثُ أمةٍ غالها الخُلْفُ وصاغتْ من جهلها أغلالا

قصةٌ، ترسُمُ البطولةُ في أحـداثها العَـزْمَ صارماً والنضالا
قصةُ الرأيِ حين تَجْحَدُهُ الأرضُ عِنادا من حمقها أو ضلالا
قصـةٌ تُلْهِمُ التأمُّـلَ مَسْراهُ وتُضْفِي على الـوجودِ جـلالا
ما نظمتُ التاريخَ فيها ولكني ضربتُ التاريخَ فيها مثالا

ومِنْ صِلاتي بلك دمعُ المعذرهْ
إن لم يكن ذنبٌ ففيمَ المغفرهْ

طاعَةُ المعصِيَة

أَنْشــأْتَ نَسْــراً وخـلقـتَ قُبَّــرَةْ
وصُفْتَ ظـبيــاً وارتـجلتَ قَسْــورَهْ
تنــاحُـرُ البقــاءِ في هــذا الشَّــرَهْ
مجــزرةٌ في الـدهــر أيُّ مجـزرَهْ
فمَنْ أتــاحَ الكـونَ تلك السيـطرهْ
ومَـنْ أَمــدَّهُ بتـلك الـمـقـدرَهْ
والـذنبُ يـا ربَّــاه مَنْ ذا صــوَّرَهْ
مَنْ قــال كُنْ ذنبـاً ومَنْ ذا قــدَّرَهْ
قــد جئتُهُ عمــداً لكيمـا تغفــرَهْ
ومِنْ صِـلاتي بـك دمــعُ المعـذرَهْ
إنْ لم يكن ذنبٌ ففيمَ المغْفِرَهْ

* * *

إنْ عبدَ الناسكُ ما شوَّقتَهُ
أو رهبَ الراهبُ ما خوَّفتَه
فقد عبدتُ فيك ما قدَّرْتَهُ
أردتُ يا ربيَ ما أرَدْتَهُ
فما الذي أجرمَ مَنْ نَحَتَّهُ
مِنْ صخرةِ الإثم الذي جَبَلْتَهُ
وإنْ أكن عصيتُ ما أمرتَهُ
فإنني أطعتُ ما أَبْرَمْتَهُ
أيخرجُ العبدُ على ما شئتَهُ

* * *

عِصيانيَ الطاعاتِ إنْ أسأتُ
كطاعةِ العصيانِ إن أحسنتُ
رُحْماك يا ربي فإني حِرْتُ



على قلبي وضعتُ يَدا   ونحوكَ قد ممدتُ يدا
وليس يضيقُ بابُكَ بي   فكيف تَذُودُ مَنْ وَرَدَا

لغَيرُكَ ما مَدَدتُ يَدا[1]

لِغيــركَ مـا مــددتُ يــدا   وغَيْــرُك لا يَفـيضُ نَــدى
وليس يضيقُ بــابُــكَ بـي   فكيـف تَــرُدُّ مَنْ قـصــدَا
ورُكْنُـكَ لم يـزل صَمَــدا   فـكـيـف تَــذُودُ مَـنْ وَرَدَا
ولــطفُـكَ يــا خَفِيَّ اللُّطْـ   ـفِ إنْ عادِي الزمانِ عَدا

* * *

على قلبـي وضعـتُ يــدا   ونحـوكَ قـد مــددتُ يـدا
سَــرَى ليلي بغيـرِ هُــدىً   ولا أدري لأيٍّ مَــدى
يُطارِدُني الأَسى أَبَــدا   ويــرعـاني الجـوى أَبَــدا
ويَنْشُـرُ في الهـوى روحــاً   ويَــطْرِيني الهـوى جســدا

---

(١) موسيقى وألحان كمال الطويل وعناء أم كلثوم

وأَطْوِي البِيدَ طاويةً   كأني في الفضاءِ صَدَى

* * *

نهاري والهجيرُ لَظىً   وليلي والظلامُ رَدَى
فواكبدا إذا أُضْحي   وإن أُمْسي فواكبدا
وليس سواكَ لي سندٌ   فقدتُ الأهلَ والسَّنَدا

ولمَّا طواني الدُّجى والجوى
لَقِيتُ الهوى وعرفتُ الهوى

حانَةُ الأقدَار[1].

حانةُ الأقدارْ
عربدتْ فيها. لياليها
ودار النُّورْ
والهوى صاحي

* * *

هذه الأزهارْ
كيف نسقيها. وساقيها
بها مخمورْ
كيف يا صاحِ

* * *

---

(١) موسيقى وألحان محمد الموجي، وغناء أم كلثوم

سألتُ عن الحب أهلَ الهوى
سُقاةَ الدموع ندامىٰ الجوى
فقالوا حَنانَيكِ مِنْ شجْوِهِ
ومن جدِّه بكِ أو لَهْوِهِ
ومن كَدَرِ الليلِ أو صَفْوِهِ
سَلِي الطيرَ إن شئتِ عن شَدْوِهِ
ففي شَدْوِهِ هَمَسَاتُ الهوى
وَبَرْحُ الحنينِ وشَرْحُ الجَوى

* * *

ورحتُ إلى الطيرِ أشكوُ الهوى
وأسألُه سِرَّ ذاكَ الجوى
فقال حَنانَيكِ مِنْ جَمْرِهِ
ومِنْ صَحْوِ ساقيهِ أو سُكْرِهِ
ومِنْ نَهْيِهِ فيكِ أو أَمْرِهِ
سَلِي الليلَ إنْ شئتِ عن سِرِّهِ
ففي الليل يُبْعَثُ أهلُ الهوى
وفي الليل يَكْمُنُ سِرُّ الجوى

* * *

ولما طَواني الدُّجى والجَوى
لَقِيتُ الهوى وعرفتُ الهوى

ففي حانةِ الليل خَمَّارُهُ
وتلك النُّجَيْماتُ سُمَّارُهُ
وتحتَ خيامِ الدُّجى نارُهُ
وهَمْسُ النسائمِ أسرارُهُ
وفي كلّ شيء يَلوُحُ الهوى
ولكنْ لمن ذاقَ طعمَ الهوى

يَهُونُ عـذابُ الجسم والروحُ سالمٌ
فكيف وروحُ المستهـامِ جـروحُ
وليس الذي يشكو الصبابةَ عـاشقاً
ومـا كـلُّ باكٍ في الغـرامِ قَـرِيحُ

يَقُولونَ لي غَنِّي[1]

غريبٌ على بابِ الـرجـاءِ طـريـحُ
ينـاديـكَ مـوصـولَ الجـوى وينـوحُ
يَهونُ عذابُ الجسمِ والروحُ سالمٌ
فكيفَ رورحُ المسـتـهــام جـــروحُ
وليس الذي يشكو الصبـابةَ عـاشقاً
ومـا كـلُّ بـاكٍ في الغـرام قَـرِيـحُ
يقـولـون لي غَنِّي وبـالقلبِ لـوعـةٌ
أُغنِّي بـهــا في خَـلْوتـي وأَنُــوحُ
ولي في طريق الشوق والليلُ هائمٌ
ولي في مَقامِ الوَجْـد حالٌ ولـوعةٌ

(١) من أغاني رابعة العدوية. ألحان كمال الطويل. وغناء أم كلثوم

مـعـالـمُ تَـخْفَـى تَـارةً وتـلوحُ
ودمـعٌ أداري في الهـوى ويَبُـوحُ
وأنت وجـودي في شهودي وغَيْبَتي
وسـرُّك نـورُ النـورِ. أو هـو روحُ
ومـا رَحَلَتْ إلاّ اليكَ مـواجـدي
وداعي الهـوى بـالـوالهين يصيحُ
بِسِـرِّ الهوى يغـدو وفيـه يـروحُ
غـريبٌ على باب الـرجـاءِ طـريحُ

حَيائي منكَ يُبْعِدُني وداعي الشوقِ يُدْنِيني

ووَجْهُ الصَّفْحِ يُخْجِلُني ويقتلُني ويُحْيِيني

في بحار النَّدَم(١)

على عيني بكت عيني على رُوحي جَنَتْ روحي
هواكَ وبُعْدُ ما بَيْني وبينكَ سِرُّ تَبْرِيحي
على عيني
على روحي
فياغوثاهُ ياغوثاهْ
ومِنْ طُولِ النَّوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ
صحا مِنْ شجْوِهِ كأسي وقد نامَ الخَلِيُّونا
فكيف أَفِرُّ من نفسي إذا هامَ المُحِبُّونا
على نفسي

---

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي. وغناء أم كلثوم.

جَنَتْ نفسي
فيا ويلاهُ يا ويلاهْ
ومن طول النَّوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ

حيـائي مـنـك يُبْعِـدُني   وداعي الشـوق يُـدْنِـينـيِ
ووَجْـهُ الصَّفْـح يُخجلني   ويقتـلنـي ويُـحـيـنـي

وأيامي
تُقاضِيني
على ما كان يا أسفاه
ومِنْ طولِ النَّوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ

خَـلَوْتُ إلـيـكَ يـا ربـي   وقـلتُ عسـاكَ تـقـبلُنـي
فـمـا بـالي أرى ذنـبـي   وأيـامـي تُـطارِدُنـي

مَدَدْتُ يدي
فَخُذْ بيدي
اليكَ ومنكَ يا ربَّاه
ومن طول النوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ

في كأس عُمري بقايا مَنْ يُشاربُني
وَمَنْ يُــطارِحُني والعيشُ ريحــانُ

صُحْبَةُ الرّاح[1]

يا صحبةَ الرّاحِ: أَهْلُ الراحِ هل حانُوا
وهل تَغَنَّتْ على أيامِها الحانُ
صَبا النَّدامى وما في الحانِ أَلْحانُ

* * *

في كأسِ عمري بقايا مَنْ يُشارِبُني
ومَنْ يُطارِحُني والعيشُ رَيْحان
ثُمالَةٌ مِنْ دموعِ الشَّجْوِ ألوانُ
إبريقُها راحَ يبكي وهو فرحانُ
ثُمالةٌ آهِ لو فاضَتْ. وآهِ إذا

---

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي. وغناء أم كلثوم

غاضَتْ. وواهاً لها والقلبُ لهفانُ
عهدي بها وكؤوسُ الصَّفْوِ مترعةٌ
بهنَّ طافَ على السّكْرى سُكَرْانُ
لا يشربُ الراحَ إلّا أنه ثَمِلٌ
نشوانُ والكاسُ في كفيه نشوانُ

* * *

تُرى تَعودُ الليالي والهوى معنا
يا غُرْبَةَ الكاسِ ما للكاسِ نُدْمانُ

ولستُ على الشَّجْـو أشكو الهـوى
رضيتُ بمـا شئتَ لي في هـواكـا

أُحبُّكَ حُبَّيْن(١)

عـرفتُ الهوى مُـذْ عـرفتُ هـواكـا
وأغـلقـتُ قـلبـيَ عَـمَّـنْ عــداكــا
وقـمتُ أنــاجيــكَ يــا مَنْ تــرى
خفــايــا القلوبِ وَلَسْـنـا نــراكــا
(أحبُّـك حبيـن: حُـبَّ الـهــوى
وحبــاً لأنــك أهــلٌ لــذاكــا)(٢)
(فــأمَّـا الــذي هــو حُبُّ الهــوى
فَشُغْلِي بــذكــركَ عَمَّنْ سِــواكــا)

---

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي. وغناء أم كلثوم.
(٢) الأبيات الأربعة الواقعة بين الأقواس من شعر السيدة رابعة.

(وأمـــا الــذي أنـت أهــلٌ لــه
فَكَشْفُـكَ لي الحُجْبَ حتى أراكـا)
(فــلا الحمـدُ في ذا ولا ذاك لي
ولكنْ لـك الحمـدُ في ذا وذاكـا)

* * *

واشتـــاقُ شـوقين: شَـــوْقَ النَّـــوى
وشـوقاً لقُـرْب الخُطَى مِنْ حمـاكـا
فــأمّـا الــذي هـو شَـوْقُ النَّـوى
فَمَسْـرىَ الـدُّمـوعِ لـطولِ نـــواكـا
وأمّــا اشتيــاقـي لِقُــرْبِ الـحِمـى
فنـــارُ حيـــاةٍ خَـبَتْ فـي ضيـــاكـا
ولستُ على الشَّجْـوِ أشكـو الهـوى
رَضِيتُ بمـا شئتَ لي في هــواكـا

تعلَّمتُ معنى أن تسيـرَ بمشعـلٍ
يشـقُّ غُبـارَ الليـلِ معتـمُ
فيهدي حيارى طال في الدَّرْب سَيْرُهُمْ
وباتُوا على سَفْـح الأماني وخَيَّمُـوا

كنتُ مُعَلّماً

ألقيت في الحفل الذي أقامته نقابة المهن التعليمية يوم السبت الأول من أكتوبر ١٩٧٦ لتكريم الشاعر باعتباره واحداً من الروّاد الأوائل الذين كرمتهم الدولة في هذا اليوم. . يوم المعلم.

تـرنَّمَ حـاديهم فهـل فيك مُنعمٌ؟
وأقـدمَ ناديهم فهـل أنت مُقـدمُ
ألستَ تـرى أعـلامهم كـعلومـهم
مصـابيحَ من نـور الهـداية تُنْظَمُ
تحفُّ بها الأضواءُ من كـل جانبٍ
ألستَ ترى. أم أنت غافٍ مُهـوِّمُ

فقلتُ: أرى. والعينُ توهم مَنْ يرى
ذكـاءَ فَـدَعْـنِي إنـني أتـوهَّـمُ
مواكبُ في طهر المـلائك أغـربتْ
معـالمُها عني فسـاءلتُ عنهمـو
لمن هـذه الأعلامُ تَخفُقُ بـالسَّنـا
ومـا ذلك الحشـدُ الكبيرُ المكـرَّمُ
سألتُ. فقالوا: يا لَـكَ اللّهُ. هذه
مـشـاعــلُ يــوم للمـعلم يُـرْسَـمُ
وتلك الحُفُـولُ الـزَّاحفـاتُ مـواكبـا
هي الحشدُ. وهي المجدُ. وهي المعلِّمُ
فقلتُ خـذوني حاديـاً في ركـابهم
فإني ـ وان باعَدْتُ ـ يا قـوم منهمو
خـذوني أغنيهـم وأنثـر عـنـدهم
خـواطـر مَنْسِـيٍّ يَحِـنُّ إليـهمـو
ويـذكرُ أيـام الشبـاب الـذي مضى
فـيـأسـىَ عـلى أيـامـه ويُـرَحِّـمُ
ويـذكـر أحـلامـاً قـطعنـا طـريقهـا
على الشـوك لا نشكـو ولا نَتَبَـرَّمُ
ونشـربُهـا رَنْقـاً. ونـرضى بشـربهـا
وتَحْلو لـنـا أيـامُنـا وهـي علقـمُ

ونَسْقي غِـراسَ الجيلِ ذَوْبَ قلوبنـا
ونَجْنِيــهِ حبــاً طيِّبَ النَّشْــر يَفْغَـمُ
ومـا زال عنـدي ذكـريـاتٌ عـزيـزةٌ
عَـزَازَةَ مَنْ عـانَـوْا ولم يتـألَّمـوا
كراريسُ يُفْني الليلَ تصحيحُ بعضِها
ودفـتـرُ تحـضيـرٍ يُبِينُ ويُعْـجِـمُ
وما زال في سمعي صدى جرسٍ لهم
يـدقُّ فَيَبْـدِي. أو يـدقُّ فـيختِمُ
إذا مـا دعـا للدرس بـاكَـرَ فتيـةٌ
كـأفْـراخ طيـرٍ حـول وِرْدٍ تُحَـوِّمُ
فـإن لمحوني داخـلاً صاحَ صـائحٌ
قياماً.. فقاموا. واستقاموا. وعظَّمُوا
وتـلك لَعَـمْـرُ الأريحيـةِ لمحـةٌ
من الصدق والعرفانِ تُـوحي وتُلْهِمُ

* * *

وأشهـدُ أني قـد تعلَّمتُ منهمـو
لقـد كنتُ أيضـاً منهمـو أتعـلَّمُ
تعلَّمْتُ معنى أن يُضَحِّي بنفسِـهِ
شهيـدٌ لِيَبْـقَى لـلصبـاحِ التَّبَسُّمُ

تعلَّمتُ معنى أن يعيشَ لغيرِهِ
دَؤُوبٌ لِيُغْنِي غيرَهُ وهو مُعْدِمُ
تعلَّمتُ معنى أن تسيرَ بمشعلٍ
يشقُّ غبارَ الليل والدربُ مُعْتِمُ
فَيَهْدِي حيارى طالَ في الدربِ سَيْرُهُمْ
وباتُوا على سَفْحِ الأماني وخَيَّمُوا
ويفتح آفاقَ الحياةِ رحيبةً
ويدعو إليها مَنْ أشاحوا وأحجموا
وأدركتُ أن المرءَ حيثُ نصابُهُ
من العملِ الباقي أَتَمُّ وأَحْكَمُ
وأُقسم إني ما عرفتُ حقيقتي
ولا كنتُ إلَّا حين كنتُ أعلِّمُ
كذلك يعلو بالمعلم قَدْرُهُ
ويكبرُ في عين الزمان ويعظُمُ
ويسمو على آلامه بين معشرٍ
يكدُّ ليرتاحوا ويشقى لينعموا
هو الرائد السَّاقي يوزِّعُ نفسَهُ
على أنفسٍ عطشى ويُعْطِي ويَقْسِمُ
ولم أَرَ في المُعْطِين مِثْلَ عطائِهِ
فذلك أَبْقَى من جَداهم وأَقْوَمُ

اذا كان مَنْ يُعطي مِنَ المال كِرْمَةً
فإنَّ الذي يُعـطي مِنَ النفسِ أكرمُ
وإن كان مَنْ يَبْني العماثـرَ مُعْظَمـاً
فـإن الـذي يَبْني النفـوسَ لأعْـظَمُ
ومـا زالتِ الـدنيـا بخيرٍ إذا دَنـا
جَنـاها لِمَنْ شَقُّـوا ثـراهـا وأولمـوا
ومـا زالت الـدنيـا بخيرٍ اذا وَفَى
بَنُـوهـا لمن ذادوا ورادوا وقـومـوا
سـلامٌ عـلى يـومِ المـعلمِ إنـه
وثيقـةُ حبٍّ.. والسـلامُ عليكمـو

يا لياليَّ بالحسينِ أعيدي بسمةَ الدهرِ واخطري مِنْ جديدِ
نحنُ في شاطىء الحياةِ حيارى قد أقمنا على ضفافِ الوجودِ

شَاعرٌ غَريبٌ

رائدُ الليل خَلْفَ وَهْمٍ بعيدِ
وخيالٍ من الأماني عنيدِ
وغـريبٌ يرى الصباحَ غـريبـاً في حيـاة كَلَيْلِهِ المَعْقُـودِ
وَلَوَلَ القيدُ في يديه وصاحت في شرايينه دماءُ الشهيـدِ
قلمٌ كان بسمةً في فَمِ الدنيا فماتت على فَمِ الفَرِّيـدِ
أَقْفَرتْ روحُهُ وغاضَتْ معانيه وأَمْسى على الثَّرى فَضْلَ عُودِ
وبقـايا حشـاشةٍ تتلوَّى تحت حَـرِّ الجوى وبَـرْدِ الوعـودِ
جَفَّ حتى أنكرتُهُ وهو مني شَبَـحُ الأُمّ من خيالِ الـوليدِ
آهِ من آهـةٍ بقلب شريـدٍ ضلَّ في ذلـك المَتاهِ الشَّـرِيدِ
نحن في عالم حُماداهُ أنا قد نَسِينـا به معـانِي الوجـودِ
أتكـونُ القبـورُ أضيقَ أم تلك الفيـافي لسـاهـدٍ يَـرْقُـودِ

وارتقابُ الجحيم أم ذلك الرُّعب بجوٍ مُسَمَّمٍ محدودِ
وعُواءُ الضِّياعِ بالليل أم جَرْسُ الأفاعي مُصَلْصِلاً من بعيدِ
وجماهيرُ من عقاربَ زُغْنٍ شائلاتٍ أذنابَها كالبُنُودِ
تَلْسُبُ الحيَّ والجمادَ كما استلهمَ أعمى عصاهُ فوق الصَّعيد

* * *

كلَّ يوم لنا فنونُ دفاعٍ في نزاعٍ على البقاءِ الكسيدِ
تَتَبارَى مع الطبيعةِ والأوهام والخوف والدجى والبيدِ
ظلماتٌ يَجْثُمْن خَلْف دياجٍ ورعودٌ يَجْأَرْنَ إثْرَ رعودِ
أين حربُ الأعصاب من هذه الحرب تلظَّتْ في ليلها الموعودِ
أعُواءُ المدافع الشُّكْسِ أم زَأْرُ غضوب على الربى شُحْذُودِ
يوقظُ الليل كلَّه ويكادُ الفجرُ ينشقُّ خيفةً في النُّجود
وسِمامُ الغازات أم ذلك الصِّلُّ بقرنيه لابداً في الحَرِيد
آهِ من أهةٍ بقلب شريدٍ ضلَّ في ذلك المَتَاهِ الشريدِ

* * *

مَنْ أباحَ الشَّذا وكان حراماً. وحشةُ الروض أم بكاءُ الورود
والذي أسلمَ العنادلَ للذلّ هواها أم كبرياءُ النشيدِ..
لهفَ نفسي على ورودِ القوافي. يذبلُ الوردُ في القفار ويُودِي
خطراتٌ يَلْمَعْن في ذلك القفرِ كماءٍ في الصخرة الصَّيْخُودِ
حَرَّ قلبي عليكِ يا مصر. يا مهبط وحيي ويا مَرادَ قصيدي

يا لياليَّ بالحسين أعيدي بسمةَ الدهر واخطري من جديدِ
قد بكى النايُ في يد العازف النائي وأَنَّتْ أوتارُهُ من بعيدِ
نحن في شاطيء الحياة حيارى قد أقمنا على ضفاف الوجود

كذلك جيشك في غرمه   دماء حلال وأرض حرام

سلامٌ على الجيش في يومهِ   وفي كلّ يوم عليه سلامْ

نشيدُ الجيش(١)

مجدٌ في يومِه المُرْتَقَبْ وأشرقَ في عيدِهِ ما غَرَبْ
فقُمْ حيِّ جيشَكَ جيشَ العَرَبْ
حَـمِـيَّ الـذِّمـامْ وجـيشَ الـسـلامْ
سـلامٌ سـلامٌ سـلامْ

* * *

مِنْ مجدِنـا الغـابـرِ وصُغْنـاهُ مِنْ دمِنـا الثـائـرِ
أعَزُّ من الروح والناظرِ
ثـورتِنـا الـظّافِـرَهْ وقـوَّةُ قـوتِهـا القـاهـرَهْ
ويَأْوِي السلامُ إلى ظِلِّهِ

يقى وألحان رياض السنباطي، وغناء أم كلثوم

فيحمي السلامَ ويرعى الذّمامْ
سلامٌ على الجيش في يومِهِ
وفي كلّ يومٍ عليهِ سلامْ

* * *

مشى المجدُ في يومه المرتقب
تُـعَـطِّرُ واديـكَ أمـجـادُهُ وتخـطُرُ بـاليُمنِ أعـيـادُهْ
وتَحْمي العروبَة أجنادُهُ
اذا جَرَّدَ السيفَ مَنْ جَرَّدا أَدارُوا عليه كـؤوس الرَّدَى
وَرَدُّوهُ يعثرُ في ظُلْمِهِ
وقد لَبِسَ الصبحُ وَجْهَ الظلامْ
سلامٌ على الجيش في يومِهِ
وفي كلّ يومٍ عليه سلامْ

* * *

مشى المجد في يومه المرتقب

* * *

سَلُوا عَيْنَ جالوتَ عن أَمْسِهِ سلوا أرضَ سيناءَ عن بأسِهِ
إذا صَرَّحَ الهَوْلُ عن نفسِهِ
وكبَّـر للمـوت مَنْ كَبَّـرا ونادَى إلى الله أُسْدَ الشَّرى
كذلك جيشُكَ في عَزْمِهِ

دماءٌ حلالٌ وأرضٌ حرامْ
سلامٌ على الجيش في يومِهِ
وفي كلّ يوم عليه سلامْ

كـأنـي حـيـن أَنْـفُـثُـهـا دخـانـاً
وأُغْـرِقُ في سحـابتهـا سحـابي
أُحـيـلُ قـلـيـلَ أيـامـي بَـخُـوراً
وأَعْـقِـدُهُ عـلى هـذا الـضَّـبـابِ

سيجارَتي

مُـعَـلَّلَةٌ كـأنَّ الـنـارَ فـيـهـا
دبيبُ اليـأس يصرخُ في إهـابي
وأحـسـبُ أنـني أشـعـلتُ فـيـهـا
بـقـايـا مهـجتي دُون الـثّـقـاب
تُخَـدِّرُ مِنْ هُـمُـومـك وهي هَـمٌّ
وتُـورِدُك المعـاطبَ كـالـرِّغـابِ
وتُـنْسِـيـكَ الـليـالـي وهـي ذكـرٌ
مـن النسيـانِ مُـلتـطمُ العُـبـاب
كـأني حـيـن أنـفُـثُـهـا دخـانـاً
وأُغْـرِقُ في سحـابتهـا سحـابي
أُحـيـلُ قـليـلَ أيـامـي بَـخُـوراً
وأَعْـقِـدُهُ عـلى هـذا الـضَّـبـابِ

وأشعـرُ حيـن تَخْبُـو أن نفسي
شعـاعٌ في يـد الأقـدار خـابي

* * *

مُصـاحبتي وأنـتِ حُـطام نفسي
متى كـان العـدوُّ من الصحـابِ
إذا ارْفَضَّ النـديُّ وبِتُّ وحـدي
وطـال الليـلُ بي وخـلا وِطـابي
هـربتُ لهـا على عِلْمِي بـأني
أَفِـرُّ من العـذابِ إلـى العـذابِ

عَـهْـدُهُ الـوَثـيـقْ واحـةُ الـنـجـاهْ
أوّلُ الـطـريـقْ هـو مـنـتـهـاهْ

عَروسُ السَّماء(١)

أوقـدوا الـشـمـوسْ أُنْـقُـروا الـدُّفـوفْ
مـوكـبُ الـعـروسْ فـي الـسَّـمـا يـطوفْ
والمُنَى قُطوُفْ
أُنقروا الدفوف

* * *

الـرِّضـا والـنُّـور والـصَّـبـايـا الـحُـورْ
والهوى يَدُورْ
آنَ لـلـغـريـبْ أن يـرى حـمـاهْ
يـومُـهُ الـقـريـبْ شـاطـئُ الـحـيـاهْ

(١) موسيقى وألحان محمد الموجي وغناء أم كلثوم

والمُنَى قُطوُفْ
في السَّما تطوُفْ
أُنْقُروا الدُّفُوفْ

* * *

يا حبيبَ الرُّوحْ تائهُ مجروحْ
كلّه جروحْ
لائذٌ بالبابْ شوقُهُ دعاه
والرضا رِحابْ يشملُ العُفاهْ
والمُنى قطوف
في السَّما تطوف
أُنْقُرُوا الدفوف

* * *

طافَ بالسلامْ طائِفُ السلامْ
يُوقظُ النِّيامْ
عهدُهُ الوثيقْ واحةُ النَّجاهْ
أوَّلُ الطريقْ هو مُنْتَهاهْ
والمُنى قطوف
في السَّما تطوف
أنقروا الدفوف

* * *

إذا كان قولُ الحقّ جَهْدَ دُعاتِهِ
فَفِعْلُكَهُ لا شكّ أحْرى وأَجْهَدُ
وليس الذي يحيا الزمانُ بفعلِهِ
كمثل الذي يحيا وليس له غَدُ

كلمةُ وَفاء

ألقيت في الحفل الذي أقيم بدار الأوبرا عام ١٩٤٦ تكريماً للصديق الراحل أبي الشعراء إبراهيم دسوقي أباظة

على أيّ فـرعٍ من معانيـك أُنشـدُ
لقـد حَنَّ للشّـدْو الهتـوفُ المغـردُ
وطـابَ لـه لحنٌ جـديـد سقى بـه
نـدامى معـان فيـك تـدنـو وتبعـدُ
صحا الشعرُ في محرابِها هَمْسَ نغمةٍ
تـظلُّ بنفس السّـامعيهـا تَـرَدَّدُ
بَدَتْ في كهوفِ النفس معنىً مُخَلَّقاً
لـه في كهـوف النفس نـارٌ ومعبـدُ

تَـطِيف شـواديـه كـأحـلامِ شـاعـرٍ
لـه في ضفاف الفنّ مَغْنىً ومعهـدُ
سعى لـك منغومَ اليراعـةِ شـاديـاً
يُـرَتِّـلُ ألحـانَ الـوفـاء وينشـدُ
ألـستَ الـذي أَنْبَتَّـهُ وسقـيتَـهُ
فها أنت تجني ما زرعتَ وتحصدُ
من الأدبِ المـطبوع صُغْتَ منـونَـهُ
ورُحْتَ تـزكّيـهِ وتُـوحي وتـرشـدُ
فسـارَ يجوبُ الـدهرَ تَسْقِي لحـونُهُ
مَلاحِنَ مَنْ غَنَّوْا بـه ثم ألحدوا
فـأيّ أيـاديـك الكـريمـة إنهـا
لكـلّ معـانيـه الكـريمـةِ مـوردُ
وأيّ معـانيـك الـرفيعـة إنـهـا
لآفـاقـه العليـا سبيـلٌ ومقصـدُ

* * *

تـزاحمت الأضواءُ حـول خواطـري
وتـرجمهـا حـبٌّ قـديمٌ مُـجَـدَّدُ
ألست الفتى تُـرْجَى يـداه. وَيُتَّقَى
كمـا يُتَّقَى السَّيْبُ الهَتُـونُ ويُقْصَدُ

وبيتُـكَ فيـه للفنـون مَثـابـةٌ
فكـلُّ أديبٍ في حمـاك مُحَسَّـدُ
ومَنْ لـكَ بالبيتِ الـذى هـو كعبةٌ
يُصَلِّي بهـا شعـرٌ، وعلمٌ، ومحتـدُ
دسوقي وإلّا مَنْ؟ وكيف اذا انبرتْ
لمصـر الليـالي والحـوادثُ تُـرْعِـدُ
لـه غضبـةُ الأحـرار تَنْضَـحُ عـزةً
إذا زايـلَ الأغـرارَ ذاك التـجـلُّدُ
وليس الـدسوقي واحـداً بين قومـه
ولـكـنـه جـيشٌ ورأيٌ مـؤيَّـدُ
وإنَّ شجـاعـاً من يشقُّ بـرأيـه
طريقاً على شـوك الخصومة يُمْهَدُ
ومَنْ كـان لا يـرضى ببسط يمينِهِ
ولـو كـان فيهـا جمـرةٌ تتـوقَّـدُ
كـذلـك إبـراهيمُ رأيـاً مـجـرَّداً
وأشرفُ ما في النفس رأيٌ مجـرَّدُ
مِنَ الصِّيدِ شَبَّ المجدُ حول بيوتهم
فكـلُّ فتى قَـذُّ المجـادةِ أَصْيَـدُ
مسـاميحُ وضَّـاحُونَ. للنُّبْـلِ منهمو
بكـلِّ سمـاءٍ في الكنـانـة فَـرْقَـدُ

وشَتّانَ بين المجدِ طبعٌ ومحتدٌ
أصيلٌ وبين المجدِ شيءٌ مُقَلَّدُ

* * *

على أيّ فرعٍ من معانيك أُنشدُ
وفي أيّ بيتٍ من مزاياك أَخْلُدُ
وفيكَ لمنهومِ الخيال عوالمٌ
من الواقع الملموس أقوى وأبعدُ
وتاريخُك الموصولُ تاريخ نهضةٍ
يُسجِّلُها جيلٌ من العزمِ أَيِّدُ
تُصاوِلُ بالرأي الخصومَ وربما
أصابَ الحجا ما لم يُصِبْه المهنَّدُ
بلاءُ الجهادِ المُرِّ في زحمة الدُّجى
وفي الناس أصنامٌ تَضِلُّ وتُعْبَدُ
إذا كان قولُ الحقّ جَهْدَ دعاتِهِ
فَفِعْلُكَهُ لا شكَّ أحرى وأَجْهَدُ
وإنَّ صلاحَ الحكم تفسدهُ يَدٌ
كما أن سوء الحكمِ تُصلحه يَدُ
وليس الذي يحيا الزمانُ بفعلِهِ
كمثل الذي يحيا وليس له غَدُ

وما كنتَ تـزهـو أن تنـالـكَ رتبـةٌ
وأنت عن الألقـابِ تَغْنَى وتَـزْهَـدُ
وفي الناس مَنْ تعلو المناصبُ باسِمِهِ
وفي الناس مَنْ يعلُو عليها ويصعدُ

نحن في عالمٍ تَحَيَّفَهُ الشكّ وضلّ الصواب فيه الصوابا
أمةٌ تنشدُ السلامَ فما بال حمام السلام أمسى غرابا

ألحانٌ ثَائِرةٌ

مهداة للصديق المناضل القديم محمود فهمي النقراشي عندما طار إلى نيويورك عام ١٩٤٧ ليخاصم الاحتلال البريطاني إلى مجلس الأمن ويقول للانجليز أخرجوا من بلادنا

أَلْقِ عن وجهِها الغضوبِ النِّقابا
لا تُخاصِمْ إلى الذئابِ الذئابا.
أَمِرَ الأَمْرُ فادَّرِعْهم شيوخاً عاقَرُوا الصبرَ وادَّرِعْهُم شبابا
وأَدِرْ لَحْنَكَ الذي أيقظَ الثورةَ وَاخْمُرْ في صَهْدِهِ الأعصابا
نحن في عالمٍ تَحَيَّفَهُ الشكُّ وضلّ الصوابُ فيه الصوابا
أمةٌ تنشدُ السلامَ فما بالُ حمامِ السلامِ أَمْسى غرابا..
أيُّ أمشولةٍ أصمَّ بها الداعي وإنْ هاجَ ثائرين غِضابا

معبدٌ صوَّرَ العدالةَ في الأرض إلهـاً والأَمْنَ فيها نصـابا
مـا لرهبـانِهِ العجـائزِ كـانوا أوَّلَ الملحـدين لَمَّـا أهـابـا
مـا لألحانِهِ الجميلةِ بـاتت فـوق اطـلالـه بُكـاً ونُعـابـا
إنمـا نحن أمةٌ تَعْلِكُ الحِقْدَ فما بـالُنـا نَعـافُ اللُّهْـابـا
واذا الحقُّ لم يصادِفْ سميعاً. أوشك الحقُّ أَنْ يَحوُلَ احْتِرابا

* * *

ليس في شِرْعِة الطواغيتِ غَيْرُ النارِ رَباً وغيرُها محـرابا
والذي يطلبُ الحياةَ سلاماً كالذي يطلبُ الحيـاةَ سَرابـا
ذلَّ مَنْ يركبُ الرَّجاء وفي كفيه ظُفْرٌ يذودُ.. ذَلَّ رخابا

لا تختصمْ يوماً إلى حَكَمٍ   غيرِ الظّبا واضربْ كما ضربُوا
أضربْ بغيرِ الهـاتفين فقد   أَوْدَى بقومي الفِقْهُ والخُطَبُ

إضرُبْ بغيرِ الهاتفين

في استقبال قواتنا التي كانت محاصرة بالفالوجه في حرب ١٩٤٨

ضَجَّ الحديدُ وأَعْوَلَ اللّهبُ   وتنفَّستْ في نارها النُّـوَبُ
واستعصمَ الأبطالُ ما تعبتْ   يـوماً عـزائمُهم ومـا تَعِبُـوا
في موقفٍ جُنَّ اللُّهابُ به   وتـراشقتْ بأوارِهـا الشُّهُبُ
والمـوتُ أيسرُ مـا يكابـدهُ   مَنْ كابدوا الأهوالَ واغتربوا
صبرٌ. ولو كان اللظى صبروا   ضربٌ. ولو كان الرَّدى ضربوا
الجائِعُونَ من العِـدا أكلوا   الظامئون من الدِّما شـربوا
والـراكبـون لكـل راعِبَـةٍ   هـوجاءَ يحجمُ عندها الرَّهَبُ
في كلّ يوم كان يَفْجَؤُهُمْ   يـومٌ كيوم الحشـر مُرْتَهَبُ
فـالجو نـارٌ، والثّـرى جُثَثٌ   والرُّعْب في الأخلادِ يضطربُ

صبروا وصوتُ النارِ حشرجةٌ   واستبسلوا والموتُ يقتربُ
في موقفٍ ضَنْكٍ تفورُ به   أهوالُها والموت ينسربُ
وكأنهم بحرٌ يموجُ لظى   وكأنما أعداؤهم حَبَبُ

* * *

وعلى الأَسَاوِدِ أسودٌ لَجِبٌ   هو وحده جيشٌ بها لَجِبُ
حاقَتْ به البلوى فقال لها   فَوْزُ الكماةِ الغُلْبِ يُغْتَصَبُ
إني أنا (الضَّبع) الذي عرفوا   والضيغمُ العادِي الذي رهبوا
قالوا الحصارُ فقلت لو عرفوا   عُقْباهُ لم يُمْهِلْهُمُو الهَرَبُ
لرجاليَ الأبطالِ ما جمعوا   ولناريَ الحمراءِ ما جلبوا
لم تُبْنَ أحجاراً معاقلُنا   أحجارُهُنَّ الصبرُ والغَلَبُ
واستمطر الموتَ الزؤامَ على   هاماتهم فكأنه سُحُبُ
وصحتْ بمصر مجادةٌ سَلَفَتْ   وزها حماها الكبر والعَجَبُ
فكأن كل قذيفةٍ مَرَقَتْ   بلدٌ يقومُ وأمةٌ تَثِبُ

* * *

لم أنسَ عودته وقد حُشدت   عصبٌ تضجُّ وراءها عُصَبُ
يستقبلون أشمَّ ما شهدتْ   نِدًّا له الأجيالُ والحِقَبُ
نثروا عليه الوردَ ما عرفوا   كم شوكةٍ بدماه تختضبُ
أفضى اليه بسره الرَّهَبُ   واقْتَاتَ مِنْ عزماتِهِ اللَّهَبُ
واستلهمَ التاريخُ وَثْبَتَهُ   والحرُّ إن خَاشَنْتَهُ يَثِبُ
ياهَوْلَهَا حرباً يمدُّ لها   ظلمُ العبيد البيض والكذبُ

كانت حديداً كالحاً ولظىً   واليوم يعلنُ حربَهُ الذهبُ
لا تختصمْ يوماً إلى حَكَمٍ   غيرِ الظُّبا واضربْ كما ضربوا
إضربْ بغيرِ الهـاتفين فقد   أَوْدَى بقومي الفقهُ والخُطَبُ
ليس الجهـادُ لِطامَ نـائحةٍ   إن الجهادَ الحَرْبُ والحَرَبُ

* * *

يا ماردَ الجيش الذي انْبَعَثَتْ   وصَحَتْ على صرخاتِهِ العربُ
يا قصةَ النيـلِ التي كتبتْ   أَسْـطارَهـا الآلامُ والنُّـوَبُ
جُـرْحُ الكنانـةِ بيننـا رَحِمٌ   والثَّـأْرُ بين طِـلابِـهِ نَسَبُ

بُكائِيّاتٌ

أيُّهـذا النديمُ أفْـرِغْ كاسي   قد تولّى زمانُ تلك الكاسِ
كَلأَّءَ العُمْرُ يا نديمُ فَدَعْني   لا تكنْ قاسياً كبعض الناسِ

وَرَاءَ الرّاحلين

قلتُ للكاس والليالي غَرِيمي. أين يا كاسُ كَرْمتي ونعيمي
جمعَ الليلُ شاربيها فما لي لا أرى بين شاربيها نديمي
فأجابتْ مَنِ احْتَكَمْ
لليالي فقد حَكَمْ

* * *

والليالي تسيرُ خَلْفَ الليالي حـاملاتٍ حقـائبَ الآجـالِ
نائمُ القلبِ غافلٌ لا يراها أو يـراهـا لكنـه لا يبـالي
آه لو يفهمُ الألَمْ
آه لو يعرفُ النَّدَمْ
أيُّهـذا النديمُ أَفْـرِغْ كاسي قد تولَّى زمانُ تلك الكاسِ
كَلأَ العُمْرُ يا نديمُ فَدَعْني لا تكنْ قاسياً كبعض الناسِ

إنني أسمعُ العَدَمْ
وأرى الناسَ في صَمَمْ

* * *

في رنينِ الكؤوس حارت عقولُ   فهي في لحظةِ اللقاءِ تقولُ
هكـذا عيشُنا، لقـاءٌ قليـلُ   وفراقٌ مِنْ بعد ذاك يطولُ

النهاياتُ لم تَنَمْ
والبداياتُ مُخْتَتَمْ

ولو كان جُرْح الجسمِ هانَ احتمالُهُ
ولكنه جرحٌ تكابدُهُ النفسُ
فوارحمتا للقلب كيف اصطبارُهُ
وآهٍ على عهدٍ تولّى به الأمْسُ

رُوَيْدَكِ يا عَيْني

أقولُ وقد ضـاقتْ بحاجتِهـا النفسُ
رُوَيْدَكِ يا عيني فقد فاضتِ الكأسُ
رأيتُ الليــالي آسياتٍ جـوارحــاً
فمــا لِلَّيـالينــا تُصيبُ ولا تـأسُــو
ولو كان جرح الجسمِ هانَ احتمالُهُ
ولكنـه جـرحٌ تـكـابـدُهُ النـفسُ
فـوارحمتـا للقلب كيف اصـطبـارُهُ
وآهٍ على عهـدٍ تـولَّى بـه الأَمْسُ
وآهٍ على مَنْ لا يـرانـي ولا أرى
سـواه. ومَنْ يحنو عليَّ ولا يَقْسُـو
لقد حال صَفْـوُ العيشِ بعد رحيلِهِ
وأصبحتُ وحدي لا أنيسٌ ولا أُنْسُ

وإِنَّ جِـدارَ الصَّمْتِ بيني وبينـه
لشيءٌ رهيبٌ لا يُحيطُ بـه حَـدْسُ
وإِنّ سِتـارَ المـوتِ دُوني ودُونَـهُ
لَكَـاللّيْلِ إذ يَغْشَى جـوانِبَـهُ اليَـأْسُ
فيـا ليتَ أَنَّ الله حين قضى بمـا
قضـاه طواني فـاحتوانـا معـاً رَمْسُ

ربوعٌ بها ألْقى الربيعُ رحالَهُ
وطابَ له فيها ضحىً وأصيلُ
تُحِسُّ كأنَّ الظلّ فيهنّ نسمةٌ
وكلُّ نسيمٍ فوقهنَّ ظليلُ

حَنِينٌ

أَلاَ هــل لـوادي الــرّاحلين سبيــلُ
أليس لِلَيْــلِ الحــائــرين دليــلُ
تناءتْ بنا الدنيا وحالتْ عهودُها
ومــا كــان ظنّي أنهــا ستحــولُ
صبــايَ. وأيــامي. ديــارُ أحبتــي
وإنـي إلى تـلك الــديـار أميــلُ
فكــلُّ مكـان غيــرِها دارُ غــربةٍ
وكــلُّ زمــانٍ بعــدهنّ فضــولُ
ربـوعٌ بهـا ألْقَى الــربيعُ رحــالَـهُ
وطــابَ لـه فيهــا ضُحىً وأصيـلُ
تُحِسُّ كــأنَّ الــظلَّ فيهنَّ نـسمـةٌ
وكــلَّ نـسيـمٍ فـوقـهـنَّ ظـليــلُ

أَحِنُّ لــوادي الــراحلين ومَنْ بِــهِ
وقلبي بــوادي الــراحـلين عـليــلُ
يُــطالعني والليــلُ يـمتــدُّ بـينـنــا
فـأَشْجَى وليـلُ الحـائـرين طــويـلُ
تـركتُ به أحلامَ قلبي.. تـركتُهـا
وبي من جَــواها حيــرةٌ وذهــولُ
متى تجمـعُ الأيامُ شَمْلِي وشملَهُمْ
ويسكت داعٍ في الضُّلوع يـقــولُ
أَلَا هل لوادي الراحلين سبيلُ

لقـد كنـتِ ظِـلًّا أَفِـيءُ إلـيـهِ
وأَهْـرُبُ مِنْ يـومـيَ الـمُـرْهـقِ
وكـنـتِ قـصـيـدا جـديـدَ الـرُّؤَى
شـجـيـاً مـعـانـيـه لـم تُـطْرَقِ

دُمُوعٌ لا تَجِفّ

إلى روح زوجي في أول عيد يأتي بعد رحيلها

أتى العيدُ (نازلي) ولم نلتقِ
وغامتْ سمائي فلم تُشرقي
أتى العيدُ يطرقُ بابي فما
أجابَ سوى دمعيَ المُهْرَقِ
أعيدٌ وأنتِ بعيدٌ هناكَ
تُقيمين تحت الثرى المُطْبِقِ
وكيف وقد شاهَ وَجْهُ الحياةِ
بعيني وباتَتْ بلا رونقِ

أعـــيـدٌ يُـلِمُّ بـنـا سـاقـيـاً
بـكـأسِ المسَـرَّةِ مَـنْ يـسـتـقِـي
وكيفَ وقــد أوحش البيتُ منـك
وأَقْـفَـر مِـنْ أُنْـسِـهِ الـمـشـرقِ

* * *

لـقــد كـنـتِ ظـلا أفـيءُ إلـيــه
وأهْـرُبُ مـن يـومـيَ الـمُـرْهِـقِ
وقــد كنتِ أمـنـاً لروحيَ مِـمَّـا
أخـافُ أذاهُ ومـا أَتَّـقـى
وقــد كنتِ قـلبـاً كبيـر المُـنـى
لـغـيـر الـمـحـبـةِ لـم يُخْلَقِ
وقـد كنتِ روضـاً. تُخْـايِـلُ عيني
مَـخَيِـلُ مِـنْ حُـسْـنِـهِ الـرَّيِّـقِ
وكـنتِ هَـتُـوفـاً تُنـاغِـمُ سمـعي
بـلحنٍ مـن الـخُـلْـدِ لـم يُـسْـبَـقِ
وكـنتِ قـصيـداً جـديـد الـرُّؤَى
شَـجِـيـاً مـعـانـيـه لـم تُـطْرَقِ
وكـنـتِ وكـنـتِ وكـانـت لـنـا
عــوالـمُ مِـنْ روحِـكِ الـمُـغْـدِقِ

مضى كلُّ هذا ولم يَبْقَ لي
سوى ذكرياتِ الأسى المُوبِقِ
فيها لهفَ نفسيَ ماذا مضى
ويا لهفَ نفسيَ ماذا بَقِي

أبكي على أيامنا القِصارْ
وأنتِ يا حُزْني غريبةُ الديارْ
بعيدةٌ بالرغمِ من قُرْبِ المَزَارْ

دُمُوعٌ لا تجف

٢

لا يَقَرُّ لي قَرارْ
زْني غريبةُ الديارْ
ـم مِنْ قُربِ المزارْ
يَ لا أراكْ
أرى سواكْ
ـنيا كما نختارْ
ـنا جَنًى يُشْتَارْ
ـعْطار
لأطيارْ
زهارْ
جَرى لنا

وكيف مالتِ الليالي بنا
فبدَّلَتْ أحوالَنا
وبَدَّدَتْ أحلامَنا
وصيَّرَتْني دائمَ الأُوارْ
في ليلةٍ ليس لها نَهارْ
أبكي على أيامنا القِصارْ
وأنتِ يا حُزْني غريبةُ الدِيارْ
بعيدةٌ بالرغم مِنْ قرب المَزارْ

* * *

يا نسمةَ الفَجْرِ التي نَشَقْتُها
يا جنَّة الحبّ التي غرستُها
يا نعمةَ اللهِ التي فقدتُها
ورحتُ بعدها أُعاتبُ الزمانْ
ولا عتابَ للزمانْ
فهذه حكومةُ الأقدارْ
وليس لي في ذلك اختيارْ
ولا اصطبارْ
وأنت خَلْفَ هذه الأحجارْ
في عالم الأسرارْ
بعيدةٌ بالرغم مِنْ قُرْبِ المَزارْ

وسألتُ عن سرِّ الحياةِ
وهالني أَني ضللتُ
وأَنني في تِيهِ
ونظرتُ للدنيا وما تَعْنِيهِ
وأزلتُ صِبْغَ خدودِها
فَتَكَشَّفَتْ عن منظرٍ تحتَ الصِّباغِ كريهِ

دَمْعَةُ وَفاء

مهداة إلى الصديق الراحل الأستاذ الشيخ
محمد عمر.

ما كنتُ أحسبُ أنني أَرثيهِ
فرثيتُهُ
او أنني يومَ النّوى أبكيهِ
فبكيتُهُ
وذكرتُ أحلامَ الصِّبا فذكرتُهُ
وذكرتُ أيامي غَداتَ لَقِيتُهُ
وأَلِفْتُهُ
أيامَ كانَ . .
وكنتُ فيما كُنْتُهُ

والمعهدُ الدينيّ في دمياطَ..
محرابُ الأديبِ وبيتُهُ
ولجامعِ البحرِ العتيدِ مكانُهُ وزمانُهُ
إذْ كان هذا وَقْتُهُ

* * *

في ذلك العهدِ العهيدِ عرفتُهُ
ووجدتُ نفسي فيه حين وجدتُهُ
وجلستُ منه مجلسَ التلميذِ من أستاذِهِ
وحَضْرتُهُ
وسمعتُهُ
وسمعتُ عنه وقلتُ فيه وزُرْتُهُ
وشربتُ مِنْ رَاوُوقِهِ وسقيتُهُ
ما زال في سمعي يُجلجلُ صوتُهُ
ما زال في عيني بهاه وسَمْتُهُ
والشيخُ في الكشمير يلمعُ كالسَّنا
ويكادُ ينطقُ بالبشاشةِ صَمْتُهُ
والبسمةُ البيضاءُ تَغْسِلُ وَجْهَهُ
وتضيءُ في عَيْنيهِ
وتكادُ تُومِي بالودادِ إليهِ
وكانها رَدُّ السلامِ عليهِ

* * *

ولطالما عَبَثَ الشبابُ..
وطالما عابَثْتُهُ
وعلى بساطِ اللَّهْوِ كَمْ ساقَيْتُهُ
فلنا حديثٌ ضاحكٌ لا ينتهي
لولا جلالُ الموتِ كنتُ ذكرتُهُ

* * *

وتَفَرَّقَتْ سبلُ الحياةِ بنا
ونادَى كلٌّ حَيٍّ قُوتُهُ
وتباعدتْ أيامُنا
وتركتُ عهدَ فُتُوَّتي
وتَرَكْتُهُ
وقطعتُ أسبابَ التَّرسُّلِ بيننا
حتى دعاني نَعْيُهُ فأجبتُهُ
وبكيتُهُ
وبكيتُ نفسي فيهِ
ورأيتُ ما فَعَلَ الرَّدَى بِبَنِيهِ
والموتُ يَنْقُضُ كلَّ ما نَبْنِيهِ
وسألتُ عن سِرِّ الحياةِ..
وهالني أَني ضَلَلْتُ وأنني في تِيهِ
ونظرتُ للدُّنيا وما تَعْنِيهِ

وأَزَلْتُ صِبْغَ خُدُودها . .
فتكشفت عن منظرٍ تحت الصِّباغِ كَرِيهِ
بِخِداعِها تُخْفيهِ
وَاهاً عجوزَ النَّحْسِ . .
ماذا يَرْتَجِي منكِ العَدِيمُ
وما الذي يَجْنِيهِ

* * *

ولقد تناسيتُ المنونَ . .
فَرَدَّني للموتِ ناعٍ جاءني يَبْكِيهِ
أَوْدَى محمدُ وانطوَتْ أيامُنا
وأتيتُ أَنْشُرُ بعضَ ماتَطْويهِ
وأقولُ فيه شهادةً تُرْضِيهِ
ما مَبْلَغُ العِرْفانِ مِنْ تلميذِهِ . .
وصديقِهِ وأخيهِ
رحمَ الإلهُ محمداً
وجزاهُ عنا خَيْرَ ما يَجْزِيهِ
وأَثَابَنا فيهِ
وأَعْظَمَ أَجْرَهُ لِذَوِيهِ

شكر ودموع

إلى الشاعر الملحمي الاستاذ كامل أمين رداً على قصيدة تعزية.

جــدَّدْتَ آلامــاً ذَهَبْن بســائـري[1]
وأَعَـدْتَ لي أشجانَ أمسِ الـذَّابِـرِ
يــا مَـنْ يُكَـلِّفُـني مـراجـبَ وُدِّهِ
مــاذا صنعتَ بعــالَمي وخــواطـري
واسَيْتَني فَنَكَـأْتَ جُـرحــاً غـائـراً
تَـعْتَـادُهُ أسبــابَ شجـرٍ غــائــر
وأنـا امـرؤٌ عَـرَفَ الكـآبـةَ شَيْبُـهُ
ثمنــاً لسـالفـةِ الشبــابِ البــاكـرِ

(١) سائر الشيء: بقيته

أيـامَ كنتُ وكـانت الـدنيـا على
عِـلَّاتهـا أفـراحَ شوقٍ غـامـرِ
والآن قـد بعـدتْ ديـارُ أحبتي
ونَـأى مازارُهُمُو لأقـربِ زائـرِ
تَهْتَاجُـنيِ الذكرى وتُشْجِيني النَّوى
وتنَالُ مِنْ صَبْرِي فلستُ بصـابرِ

المحتويات

الصفحة

الصفحة

مطابع الشروق
بيروت . ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١٠١ - برقيا : داشروق - تلكس SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٧٧٤٨١٤ - برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN